المشربية ..... الجدار الشفاف الفاصل بين العام والخاص

بقلم و عدسة
الدكتور / نادر غريب
رئيس قسم الهندسة المعمارية و التصميم البيئي و قسم هندسة التشييد و البناء بالأكاديمية العربية للعلوم و التكنولوجيا و النقل البحري فرع بورسعيد
Dr.Nader Gharib, Head of Architectural Engineering & Environmental Design at Arab Academy for Sceince and Technology and Maritime Transport - Port Saied Branch

Abstract:
Islamic architecture present a various useful details and elements through an aesthetic vision providing a proper function and merges in homogeneity with the surrounded built environment.
Al Mashrabeyia (In Arabic) where is drinking water jars are kept, or Al Mashrafeyia (in Arabic) which it's function simulating the terrace, is a witness of the architect's creativity to create a semi transparent wall gives vision from inside to outside the space in parallel to keeping an inner proper privacy.
Al Sehiemy house at Mamlouki Cairo includes a perfect study models of geometrical treatments used to shape the transparent walls.

Keywords:
Mashrabyia - Mashrafeyia - Mamlouki - Cairo - Al Sehiemy - Islamic Architecture.

شرب مصدر في لغتنا العربية لاحتياج أساسي لحياة الإنسان فالماء سر من أسرار الحياة ، ونجحت العمارة في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في إنتاج المزيج المنشود بين القيم النفعية والجمالية ، ولعل المشربية شاهدًا حيًا على هذا النجاح استطاع الصمود إلى وقتنا الحالي بما يملكه من مقومات ستظل مصدر دراسة وتحليل وتطبيق من قبل المعماريين ، فسواء المشربية التي اشتقت للتعبير عن مكان وضع قلة الشرب أو المشرفية التي اشتقت من الإشراف على الخارج نجد أن كلاهما يتحدثا معًا في واجهات بيوتنا في بلداننا العربية ليمثلا الجدار الشفاف الفاصل المحقق لرؤيتك للخارج بدون أن يرى تفاصيلك الداخلية لدعم قيمة الخصوصية.

وتفاعلًا مع صورة الغلاف الخاصة بهذا العدد حاولت عدستي رصد المشربية بمنزل السحيمي في الدرب الأصفر في منطقة الجمالية والذي يتفرع من شارع المعز لدين الله الفاطمي لتأمل المعالجات في التنظيمات الهندسية التي قدمتها لإضافة الروعة الجمالية عبر دقة الخرط لإيقاعاتها لتحقيق الجدار الشفاف الفاصل بين العام والخاص.

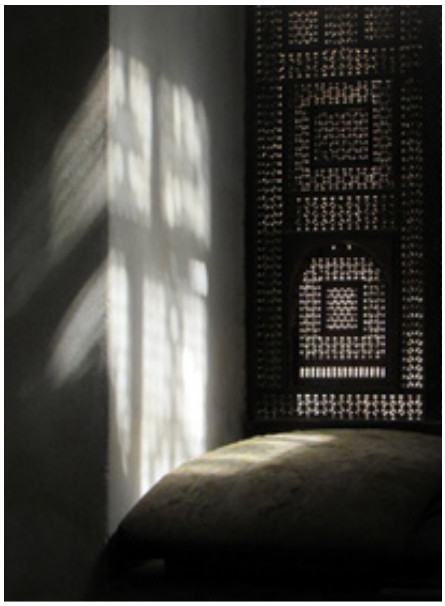

افريقيا و الشرق الاوسط ، حيث كان التلاميذ يرسلون كل اثنين في منطقة معينة من العالم ،أيضاً يوجد زوج من اشباه العمدة المتصلة بالانبل و هما باللون الاسود و ربما يرمزان مع العموديين السابقين الى الاناجيل الأربعة (اناجيل متى ، و مرقس ، و لوقا ، و يوحنا) ،و على جانب الانبل يوجد زخرفة بشكل شواهد القبور (صورة ١١) ؛ ذلك لان الانبا ابرام ابن زرعة كان مدفوناً تحت هذا الانبل ثم تم نقل رفاته فيما بعد

(صورة ١١)

(أ) المنظر الاول : بشكل صليب داخل دائرة ، يتدلى منها خطافان و أحاط بهم جميعا عقد (Arch) قائم على عمودين و تلك الزخارف لها رمزية خاصة جدا .، فقد سبقت الاشارة الى رمزية الصليب و الدائرة ، اما الخطافان المتدليان من الدائرة فيرمزان الى التمسك بالعقيدة . أما العقد و العمودين القائم عليهما فيرمزان الى الدخول في المسيحية

(ب) اما المنظر الثانى :- فهو عبارة عن سلم من ٣ درجات ليعلوه صليب و هو يرمز إلى الأيام الثلاثة التى قضاها المسيح في القبر ثم صعد الى الملكوت .

خامسا :- حامل الايقونات .

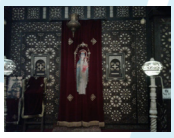

(صورة ١٢)

حامل الايقونات هو جدار خشبي يفصل صحن الكنيسة عن الهيكل (المحراب) (صورة ١٢) و تعددت زخارفه ، و أهمها :-

(أ) زخرف للصليب الدائرى من الخشب و مطعم بالعاج و هو عبارة عن خطوط متوازية و متقاطعة تلتف في شكل دائرة و تحصر بينها اشكالاً هندسية متعددة (صورة ١٣) . و تكون من الداخل

(صورة ١٣)

شكل نجمة و هى ترمز إلى النور الذي يشع من السماء في ثلاث أشعة ترمز الى الثالوث القدوس و تعلن ألوهية المسيح . هذه النجمة لها ١٠ أذرع ترمز إلى الوصايا العشرة و التى تعبر عن الكمال .

(ب) و كل ذراع من أذرع النجمة هو عبارة عن شكل تجريدى للسمكة و قد سبق الإشارة عن رمزيتها. نلاحظ أن بين كل صليب دائرى و اخر يوجد عدد من النجوم ، تتوسط كل نجمة عين (صورة ١٤) و العين ترمز الى عناية الرب بالبشر .

(صورة ١٤)

(صورة ١٥)

(جـ) زخرفة الصليب تتخذ شكلاً مميزاً فيقطع طرفيه الافقين خط رأسي ، و طرفيه الرئيسيين خط أفقى (صورة ١٥) ، فيكون بذلك مكون من ٤ اطراف × ٣ = ١٢ طرف و هم عدد التلاميذ (الحواريين) والعدد ٤ :- ربما يرمز الى الاناجيل الاربعة و ٣ يرمز الى الثالوث المقدس

سادسا : الجناح الجنوبي (الكنيسة القديمة)

(صورة ١٦)

الباب ملئ بزخارف بشكل صليب التاو على شكل حرف T و هو اختصار لشكل الصليب اللاتيني و فيه يكون الطرف السفلى أطول من بقية الاطراف و يقال أن المسيح صلب على صليب من هذا النوع . (صورة ١٦)

و يكون شكل دائرة من ٦ صلبان تحصر بينها نجمة سداسية الاذرع . و العدد ٦ - يرمز الى ايام خلق الكون و أيضا يحصر اشكالاً تجريدية للسمكة

سابعا : المحراب Abside

(صورة ١٧)

يعد الهيكل أو المحراب المكان الاكثر قدسية في الكنيسة ولا يسمح فيه بالدخول إلا لكهنة الكنيسة أو المصلين من الرجال ،ويمنع النساء من دخوله نظراً لتغييرات فسيولوجية في جسم المرأة تمنعها من التمتع بالطهارة الكاملة ، و قد سبق القول أنه يوجد بالمعلقة ٧ محاريب جميعهم مغلقون عدا محراباً واحداً في الجناح الجنوبي . (صورة ١٧) يسمى المحراب بحضن الأب، ضابط الكل (بانتوكراتور) ؛ لذلك فدائما يصور فيه المسيح إما منفردا أو مع السيدة العذراء أو التلاميذ و يوجد أمام حنية المحراب سلم ليرمز الى الصعود الى الملكوت تشبهاً بموسى النبي حين كان يناجي ربه .و من الاساسى وجود مذبح داخل الهيكل فعليه تقوم الطقوس الدينية المتعلقة بالعشاء الاخير و يذكر كيرلس السكندرى أن المذبح يرمز للمسيح و يرمز لقلب الإنسان الطاهر .

ثامناً :- ايقونة الموناليزا القبطية (صورة ١٨ ، ١٩)

رسم الايقونة فنان أرمنى من القرن الثامن عشر متأثراً بفنانى عصر النهضة خاصة رافييل و ليوناردو دافنشي ، سميت بالموناليزا القبطية ؛ لأن العذراء فيها تشبه الموناليزا في أنها تنظر للمشاهد من جميع الجهات التى يشاهدها منها و هى منفذة باسلوب التامبرا (Tempera) و تظهر فيها العذراء جالسة تحمل الطفل يسوع و فيها تأثر بإيزيس و هى تحمل حورس أو حربوقراط و ترتدى رداء بنى اللون يرمز الى الطبيعة الارضية و فوقه حجاب ازرق ينسدل على كتفيها يرمز لونه الى المجد السماوى وتوجت والمسيح بتاج احمر يرمز للياقوت الملكى و يعلوه الصليب كرمز لحمل رسالة الرب الى البشر وعلى جانبي العذراء اثنين من الملائكة المجنحين و يرمز ذلك الى أن مجدها ممنوحاً من السماء بينما المسيح ولد و بطبيعته هذا المجد .

(صورة ١٨)

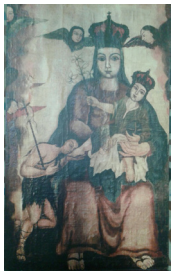

(صورة ١٩)

و على يمين العذراء صور يوحنا المعمدان يقبل قدم الطفل يسوع و نلاحظ ان الفنان صوره في صورة شاب بالرغم من أنه يكبر المسيح بـ ستة اشهر فقط و ربما قصد ذلك تأكيد مقولته التى قالها عن المسيح أنه : « سيأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست مستحق أن انحنى و أحل سيور حذائه « .

و هكذا ... امتزجت الديانة بالتاريخ ؛ اخذت منه العبرة ، و اعطته الرمز ؛ فأخرجا لنا الفن القبطى في أبهى صوره ، شاهداً على العصر ، و على كل عصر ، برمزيته الفكرية و الدينية ، التى خاطب بها العقول ، و جذب بها القلوب فأصبح الفن حاملا للفكر ، و داعيا للدين في آن واحد.

..... و في النهاية فما هى الا محاولة متواضعة للتحليل و الفهم العميق لتلك الرمزية في الكنيسة المعلقة .

قائمة المراجع

١-الكسندر كرافتشوك ، ترجمة كيرولحدو (١٩٩٦) ، الوثنية و المسيحية . مرحلة الصراع الحاسمة ، مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، القاهرة .
٢-بربارة واترسون ، ترجمة ابراهيم سلامة (٢٠١١) ، اقباط مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
٣-جون هيك ، ترجمة نبيل صبحى (١٩٨٥) ، اسطورة تجسيد الأله في السيد المسيح ، مكتبة كلة الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة .
٤-سومر زكلارك ، ترجمة ابراهيم سلامة (٢٠١٠) ، الآثار القبطية في وادى النيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
٥-سيد محمد عمر (٢٠١٣) ، فنون و اثار مصر في العصرين اليوناني و الرومانى ، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة .
٦-سيرغى أ . توكاريف ، ترجمة أحمد م. فاضل (١٩٩٨) ، الأديان في تاريخ شعوب العالم ، الطبعة الأولى ، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة .
٧-طارق منصور (٢٠١٣) ، مصر في العصر البيزنطى ، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ، القاهرة
٨-عزت قادوس (٢٠٠١) ، مدخل الى علم الآثار اليونانية و الرومانية ، مكتبة الحضرى للطباعة ، الاسكندرية
٩-عزت قادوس و محمد عبد الفتاح السيد (٢٠٠٢) ، الاثار القبطية و البيزنطية ، الحضرى للطباعة ، الاسكندرية .
١٠-ميلاد حنا (٢٠١٣) ، الاعمدة السبعة للشخصية المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

القديس يوحنا المعمدان و الاوسط بإسم السيدة العذراء ، و الايسر بإسم مارجرجس ،و يفصل المحاريب عن الصالات الاربع ، حامل ايقونات خشبي يحمل العديد من الايقونات للقديسين و التلاميذ و الملائكة ،و في الجناح الجنوبي من الكنيسة يوجد باب رائع الصنع من خشب الصنوبر المطعم بالعاج يؤدى إلى الجزء الأقدم منها و الذي كان أساس المبنى في القرن الرابع الميلادى ثم اضيف الجزء الاخر إليه في حوالى القرن الخامس الميلادى مع زيادة أعداد معتنقي الديانة و عدم كفاية مساحته و يوجد به ثلاث محاريب أيضاً ، و أحدهم يحمل اسم الانبي ابرام ،و يوجد في ذلك الجناح الجنوبي سلم يؤدى الى الطابق الأعلى و هو مغلق حالياً و فيه محراب واحد .

الرمزية الدينية و الفكرية في الكنيسة المعلقة

بالرغم من صغر مساحة الكنيسة و التى لم تتعدى ٢٣,٥م طولاً ، و ١٨,٥م عرضاً و ٩,٥ ارتفاعا إلا أنها مليئة بالتفاصيل الفنية الدقيقة في عمارتها و زخارفها و ايقوناتها و التى لها من الرمزية الدينية و الفكرية ما لم تحظى به العديد من الكنائس الاخرى لذلك سنكتفي بعرض الرمزية الموجودة في العمارة و الزخارف و ايقونة واحدة هى ايقونة العذراء المعروفة بإسم الموناليزا القبطية و ذلك نظرا لانها تضم ١١٠ ايقونة و لن يسمح المجال بتناولها جميعاً .

اولا : البوابة و الفناء الخارجى Atrium

(صورة ٢)

يزخر الباب الخارجى للكنيسة بالزخارف المحورة بشكل الصليب المتداخل أو الدائرى (صورة ٢). و الصليب ذاته له رمزية فهو يرمز الى صلب السيد المسيح ، فقد كان سيرجم و لكن بما أنه تم تسليمه الى العدالة الرومانية ، فقد نال عقاب العبيد في العالم الرومانى و هو الصلب .

و الشكل العمودى في الصليب يرمز الى علاقة الإنسان بالرب ، أما الشكل الافقى فيرمز الى علاقة الإنسان بالإنسان .

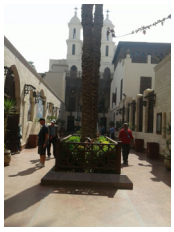

(صورة ٣)

أما الاشكال المتداخلة أو المحورة للصليب خاصة الدائرة ترمز إلى طبيعة السيد المسيح ، و أنه ليس له بداية ولا نهاية أو كما يقال هو البداية و النهاية (الالفا و الاوميجا A و W)

و عند الدخول الى الفناء (صورة ٣) نجد ثلاثة أحواض للزرع و من اللافت للنظر أن الحوض الأول به اثنين من اشجار النخيل و للنخل رمزية في الديانة المسيحية ، فتعد النخلة رمز الحياة و أول الاشجار على الارض ، كما أن تحتها وضعت السيدة مريم العذراء المسيح ، كما أوحى الله إليها أن تجلس تحت النخلة حين شعرت بالآلم المخاض .

(صورة ٤)

كما تذكر المصادر أن أهل أورشليم استقبلوا المسيح (عليه السلام) بباقات من الزهور يتخللها التمر ، كما فرشوا تحت قدميه بساط أخضر من سعف النخيل .

(صورة ٥)

و اخيرا فإن الاحواض الثلاثة للزرع أمر معتاد في أفنية الكنائس لترمز الى الفردوس Paradise ؛ و بذلك تصبح بوابة الدخول الى الكنيسة رمزاً للدخول إلى المسيحية ؛ و الذى يؤدى الى الفردوس أو الجنة .و في نهاية الفناء الخارجى يوجد سلم (صورة ٤ ، ٥) يؤدى الى الطابق الثانى و الذى يوجد فيه صحن الكنيسة هذا السلم مكون من ٢٣ درجة مقسمة الى جزئين : الاول من ١٣ درجة ، و العدد ١٣ يرمز الى عدد الحاضرين في العشاء الاخير (المسيح و تلاميذه و من بينهم يهوذا الخائن)

(صورة ٦)

الجزء الثانى و العلوى من السلم مكون من ١٠ درجات ، العدد ١٠ يرمز الى الوصايا العشرة .

ثانيا : الصالة المستعرضة (Narthex)

هذه الصالة تسبق واجهة و صحن الكنيسة مباشرة (صورة ٦) و نلاحظ فيها وجود نافورة مياه تتخللها النباتات و الماء ترمز الى الحياة و التجدد و التطهر و ماء العماد الذي فيه يتطهر الإنسان من الافكار السيئه و يتحلى بالطهارة على صورة الرب و مثاله .

ثالثا : واجهة الكنيسة

تعددت بها و على بابها الزخارف بشكل الصليب أو الدوائر و قد سبق الإشارة الى رمزيتهما . أقيم بالواجهة ثلاث محاريب (حنايا) في الأيمن و الأيسر منها تم فتح بابان يؤديان الى صحن الكنيسة و العدد ٣ (عدد الحنايا) يرمز الى عدة اشياء :-

أ- الثالوث القدوس : (الاب – الابن – الروح القدس)
ب- الثالثوث العائلى (الاب – الام – الابن)
جـ- الايام الثلاثة التى قضاها المسيح في القبر ثم صعد بعدها الى السماء .
د- ابناء نوح عليه السلام الثلاثة المؤمنون (حام – سام – يافس)

أما العدد ٢ (عدد الابواب) فإنه يرمز الى :-
الثنائية المزدوجة مثل :-
أ- العهدين (القديم و الجديد)
ب- لوحي الوصايا
جـ- الرجل و المرأة
د- الخير و الشر
هـ- الشمس و القمر

رابعا : الصحن Nave (صورة ٧)

(صورة ٧)

الكنيسة على شكل سفينة ، و يتجلى ذلك في السقف (صورة ٨) و السفينة ترمز الى سفينة نوح التى نجى فيها المؤمنون .

(صورة ٨)

و سبق الإشارة الى ان الكنيسة مقسمة الى ٤ أجنحة عن طريق ٣ صفوف من الاعمدة مقسمة كالتالى ٨ ، ٣ ، ٨ و سبق الإشارة رمزية العدد ٣ .

أما عن العدد ٨ فهو يرمز الى عدد المؤمنين الناجيين في سفينة نوح ، حيث نوح و زوجته و اولاده الثلاثة (حام و سام و يافس) و زوجاتهم ، و يرمز الى أطراف جرن المعمودية .

(صورة ٩)

و عن المقاعد (صورة ٩) فهى عليها زخارف بشكل الصليب ، و سبق الإشارة الى رمزيته و زخارف لعناقيد العنب (الكروم) التى ترمز للمسيح ، كما ترمز له في القربان الذي يرمز للجسد و الدم و زخارف ثالثة بشكل السمكة و السمكة الحية ترمز للمسيح فهى تسبح ضد تيار العالم ، أما الميتة فهى ترمز للمسيحى الذي يسبح مع تيار العالم و يخالف تعاليم الديانة كما أن السمك لا يلد مثل الحيوانات ، و إنما يبيض مثل الطيور ، لذلك فهو يجمع بين طبيعتين (الطيور السماوية ، و الحيوانات الأرضية) و فيها أيضاً رمزية للمسيح ،كذلك فالسمك يرمز الى الطهارة ، ففيه تضع الانثى بيضها ثم يأتى الذكر ليلقحها دون اتصالا جنسياً بالانثى ،و للسمك اسلوبان في صيده ، إما بالصنارة (عمل فردى) و إما بالشبكة (عمل جماعى) و كان المسيح يجذب النفوس اليه عن طريق العمل الفردى أو الجماعى . و قد دعى المسيح تلاميذه و قال لهم « إنى اجعلكم صيادى للناس » و كلمة سمكة في اليونانية تمثل اختصارات الحروف الاولى من الجملة اليونانية التى تعنى (يسوع المسيح ابن الله المخلص) .

الانبل الرخامى (صورة ١٠)

(صورة ١٠)

يتوسط الكنيسة و بالقرب من المنصة انبل اثرى من الرخام ، كان يستخدم قديماً في الوعظ و تجد الاشارة الى حرص المعمارى على اقامته مواجهاً لجدار تصطدم به موجات الصوت فيرتد صداها ليسمعه جميع الحضور .

يقوم هذا الانبل على ١٣ عمود و قد سبق الاشارة الى رمزية العدد ١٣انهم عدد المسيح و تلاميذه و تم توزيعهم كالتالى :-

عموداً منفرداً بذاته ، و ١٢ عمود متقابلين و كل عموديين متقابليين متشابهين و يلفت النظر عمودان متقابلان أحدهما باللون الاسود و الاخر بالرمادى و هما يرمزان الى التلميذين الذين بشرا في